الأستاذ الدكتور محمد بن زاوي
مقياس الأدب القديم و النقد القديم
السنة الأولى ماستر
شعبة الأدب العربي القديم
نظري
الفوجان 3. 4

المحاضرة الأولى

مدخل:

أدرك النقاد العرب المحدثون عدم خضوع الشعر العربي القديم _ و خاصة الجاهلي منه _ خلال القرون الماضية للأبحاث و الدراسات التي كان من الممكن أن تتقصاه بعمق، و تكشف عما يمكن خلفه، و ذلك بفعل الظروف التاريخية التي أملت الانشغال بقضايا أخرى تخصه خارجة عن حدود البحث مثل جمعه و تدوينه و الشك في صحته... أو بفعل ما أملى المنهجان النقديان **اللغوي و الذاتي** اللذان كان سائدين في تلك القرون من الاقتصار على توضيح بعض قضايا النص السطحية.

لذا فإنه منذ منتصف القرن الماضي، أي حين وجد النقاد العرب المحدثون أنهم استحوذوا على المناهج الكافية للقيام بالأبحاث الجادة العميقة، أخذوا يعيدون قراءته محاولين إيفاءه حقه، مستجيبين لما تفرض مكانته التي ينبغي أن يكون قد حظي به منذ القرون الهجرية الأولى بناء على تشكيله جذر أدبنا العربي.

و قد اتخذت هذه القراءة الثانية ثلاثة اتجاهات هي:

1- قراءة الشعر الجاهلي بناء على ارتباطه بمجتمعه، و ذلك لطغيان الفكرة الجمعية على الفردية في ذلك العصر، و تحول الى الصبغة التي غلبت على الشعر الجاهلي. و حين انطوى ذلك المجتمع على بعدين. انقسمت هذه القراءة بدورها الى اثنتين:

- حاولت أولاهما أن تثبت انتماء الشعر الجاهلي الى أحد المجتمعات القديمة التي ظهرت في طفولة الأهم. و التي تبين العلماء الأنثروبولوجية الصفات المشتركة المتعددة بينها.

و كان من بينها سيادة اللاشعور الجمعي الذي وحد بين أفراد المجتمع القديم بناء على احساسهم بالضعف و حاجتهم الى التكتل أمام الظروف الخارجية التي بدا لهم طغيانها و خطورتها. و لقد تبين للنقاد هذا في الشعر الجاهلي لدى توحد قصائده، و تحولها الى ما يقرب من القصيدة الواحدة التي تكرر في أغراضها و معانيها الجزئية و انشغالها بقضية الحياة و الموت. كما أنه ضمن مجال اللاشعور الجمعي حاول النقاد أن يفسروا الشعر الجاهلي بناء على

الأساس الأسطوري، هذا الذي حاولت الجماعة القديمة الواحدة ابتكاره لتجسد تلقائيا الصيغ الطفولية التي عبرت عند العالم الغريب المعقد الذي لما يؤلف و السعي نحو تفسيره و اتخاذ الموقف الملائم منه. كما شملت القراءة الأنثروبولوجية للشعر الجاهلي تقصي ما تفرق من العناصر المضمونية و الفنية التي يكشف كل منها عن الانتماء الى تلك المجتمعات القديمة، و شمول هذا القدم لمظاهر الحياة الجاهلية المتعددة.

المحاضرة الثانية

- أما القراءة الثانية فقد حاولت إثبات الشعر الجاهلي الى المجتمع الذي يمتلك خصوصيته الجاهلية، و تميزه عن المجتمعات الأخرى ببيئته المقفرة التي حثت سكانها على التنقل و عدم الاستقرار، و بعصره الذي شمل بتفرده نواحيه المختلفة الاجتماعية و الأخلاقية و الدينية و السياسية و الاقتصادية.

و قد اعتمد النقاد بهذا الصدد منهجية قام أولهما على استخلاص البيئة و العصر الجاهليين من الشعر الجاهلي بصورة مباشرة استنادا الى ما فرض انعكاسهما الواضح عليه. و قام ثانيهما على استخلاصهما بصورة عير مباشرة استنادا الى ما فرض تأثيرهما غير الجلي أحيانا في صياغة جانبي الشعر الجاهلي المضموني و الفني.

2- أما الاتجاه الثاني الذي اتبعه النقاد في قراءة الشعر الجاهلي، فقد قام على ربطه بالشاعر الفرد الذي ابتكره، و الذي لابد أن يمتلك خصوصيته و تميزه عن سواه، و إن كان للفكرة الجمعية الحضور و الطغيان. و قد انقسمت هذه القراءة الى اثنتين بناء على البعدين اللذين انطوت عليهما الفردية في الأصل:

- البعد النفسي الذي اشتركت فيه الانسانية جمعاء و إن اتخذ _من جانب آخر_ طابعه الجاهلي المتأتي من الظروف الخارجية التي أسهمت في تكوينه، و ضمنه البحث النقاد فيما شف عنه الشعر الجاهلي من العقد النفسية التي لازمت الشعراء الجاهليين خلال حياتهم. و الحالات النفسية التي أمكن تبدلها من حين لآخر وفقا للظروف التي تتبدل هي الأخرى. كما بحثوا في اهتمام الشعراء بنفوس الآخرين نتيجة الخبرة التي تكونت لديهم ضمن هذا المجال.
- و البعد الفردي الثاني هو الفلسفي، هذا الذي ان اختصت به فئة معينة من البشر، و ظن بعضهم خلو الشعر الجاهلي منه بناء على قدمه و بساطة مبدعيه، فقد تبين لبعضهم الآخر كما من الخطرات و التأملات الدالة على وصول الجاهليين الى مرحلة من النضج و القدرة على التعمق في شيء من أسرار النفس و الوجود.

3- أما الاتجاه الثالث، ففيه تمت قراءة الشعر الجاهلي بناء على ارتباطه باللحظة الابداعية التي لابد أن تتمايز _هي الأخرى_ مع ما سواها من اللحظات داخل حياة الشاعر الفردية كما تمايز الشعراء الجاهليون داخل الجماعة الواحدة.

وقد اتبع النقاد في هذا الاتجاه المنهج الفني الذي قسموا من خلاله القصيدة الجاهلية الى القصيرة و الطويلة، و قسموا الطويلة الى أجزائها و عناصرها، و ذلك إما بصورة عامة شاملة للقصائد جميعها، أو بصورة خاصة قائمة على تحليل النص الواحد. كما اتبعوا ضمن هذا الاتجاه المنهج البنيوي الذي و إن قلت تطبيقاته، فإن شملت ما تنوع من مناهجه الفرعية مثل منهج "بروب" الذي قام على تحليل الحكاية الخرافية الى وظائفها. و منهج "ليفي شتروس" الذي قام على تحليل الأسطورة الى وحداتها، و منهج "لوسيان جولدمان" الذي قام على ربط النص بظروفه الخارجية، و المنهج "الأسلوبي" الذي قام على تحليل النص أسلوبيا.

المحاضرة الثالثة

المنهج النفسي في نقد الشعر الجاهلي

مثلما تميز المجتمع الجاهلي عن سواه من المجتمعات القديمة، فلابد أن يكون قد أدرك النقاد أن القبيلة الجاهلية التي علا شأنها في مجتمعها، و شكلت وحدته الأساس، لم تحل دون اكتساب الفرد الذي ينتمي إليه خصوصيته و تميزه عن أقر انه، شأنها في ذلك شأن الأسرة التي لابد أن يتمايز أفرادها و إن توحدت ظروفهم المختلفة، الأمر الذي يوصل من جديد الى قانون التشابه و الاختلاف في الحياة البشرية.

وقد شغلت نظرية الخصوصية الفردية التي تشمل الأفراد و تجاربهم عالم النفس "أدلر"، و أسس لها ما يسمى بعلم النفس الفردي، و قد شرحها "عبد الرحمن بدوي" في "الموسوعة الفلسفية" على النحو التالي: **{ يرى أدلر أن الحياة النفسية تيار مستمر خلاق لا يمكن التنبؤ بمجراه، و في كل واحد منا فروق جوهرية يتميز بها عن سائر الناس، لأن تجارب كل واحد منا تختلف عن تجاري الآخر. و من هنا كان من الضروري أن يكون علم النفس فرديا }.**

وبناء على إمكان الظفر بالنزعة الفردية في الشعر الجاهلي، لجأ النقاد العرب المحدثون الى تقصيها و إضاءة ما يعثرون عليه، و إن كامن البديهي أن يقل حجما و أهمية بالقياس الى النزعة الجمعية التي تبقى هي السائدة في ذلك العصر. لكن الأعمال النقدية التي اهتمت بهذا المجال لم تتناول الفردية بناء على حصر الشاعر الجاهلي ضمن إطاره الفردي الضيق، أو تصويره كحالة استثنائية لا تتكرر، إنما بناء على ما عنت الفردية في جانبها الآخر من تشكيلها انعكاسا للروح الجاهلية، و كذلك من اكتسابها الصفة النمطية، و الايحاء بإمكان التقائها مع أي فرد من أي زمان أو مكان و على وجه الخصوص مع أفراد هذا العصر الذي ينتمي إليه النقاد، و الذي يبدو الأكثر بعدا عن العصر الجاهلي.

و يمكن الوقوف بصدد الانعكاس الأول عند ما ذهب إليه "يوسف اليوسف" في كتابه "بحوث في المعلقات" بشأن فردية الشاعر الجاهلي في بعض المعلقات من انعكاس للروح الجاهلية، و ما يمكن أن يدل عليه هذا الأمر من توسيع الجاهلي

لفرديته الى جانب تمسكه بجماعته المحدودة، يقول: **{ في المعلقات لا نشعر فقط بأن الفردية ملقاة لذاتها، أو لتواجه الجماعة، على الرغم من تمحور المعلقة حول شخصية شاعرها، بل نشعر أن فردية المعلقة هي انعكاس للروح الجاهلية، حتى لكأنما الفرد عيان مشخص لهذه الروح }.**

وقد تبين للنقاد ضمن هذه الفردية "النفس" التي تبقى في النهاية جزءا من النفس الانسانية، و كذلك الفلسفة الحياتية التي يمكن أن يصل إليها شخصان متباعدان نتيجة النضج و التفكير العميق اللذين لم يفترضا لدى الشاعر الجاهلي.

وقد أدرك النقاد العرب المحدثون بناء على ما توصل إليه علماء النفس من نتائج متطورة، أن علم النفس الذي ينطبق على البشرية جمعاء يمكن أن يمتد الى الجاهليين، كما امتد الى سواهم أو الى الآداب الأخرى.

وإذا ما ابتعد هؤلاء الجاهليون زمنيا، و ظهرت الكثير من المواقف المعارضة لتطبيق المنهج النفسي على الأدب القديم من الغربيين و العرب، فإن الصفة الإنسانية التي تظل قائمة بين البشر عبر ما اختلف من أزمنتهم و أمكنتهم، تحول دون الفصل بينهم و بين سواهم، بل إن بعد الجاهليين الزمني قد يجذب النقاد بصورة أكير الى بعد أعماقهم، نظرا لما يحقق هذا الأمر من لذة الكشف عمن غيبهم الزمن، و التأكد من وجود قواسم مشتركة بينهم و بين اللاحقين عبر العصور. كما أن بعد الجاهليين الزمني قد يبعد النقاد لدى تطبيق المنهج المذكور عند الحرج الذي قد يتعرضون له إذا ما طبقوا المنهج نفسه على المعاصرين لهم، نظرا لما قد يلقون منهم من الإنكار و التذمر إزاء تعدية نفوسهم. ثم إن الأبحاث النقدية الكثيرة التي هدفت الى تناول الجاهليين و شعرهم من الجوانب المختلفة، و تكوين الرؤية النقدية الأكثر تكاملا ينبغي أن تعني عدم إهمال جانب قد تبين ارتباطه بهم.

وقد بحث النقاد العرب المحدثون في نفوس الشعراء الجاهليين استنادا الى ما وصل من إنتاجهم الشعري، و اعتمدوه مصدرا رئيسا للغوص في أسرارها و الإلمام بدقائقها مادام يشكل شأنه شأن أي أدب أو فن مخزونا لا شعوريا ثريا يرتبط بمبدعيه، أو مادام يلتقي مع الحلم الذي استند إليه علماء النفس في تحليل نفوس مرضاهم. إنهم استفادوا من كون الإنتاج الشعري أو الأدبي عامة مصدرا للكشف النفسي يفوق المصدر المحدد في التماس المباشر مع أصحابه، مادام الشعراء و الأدباء يجدون فيه من المجال الفسيح للتعبير عن كل ما يتحرك في داخلهم. و بناء على ذلك وجد "عز الدين اسماعيل" أن العلاقة بين الأدب و علم النفس لا تحتاج إلى إثبات، و إنما الى بيان هذه العلاقة و شرح عناصرها.

وقد ظهر للنقاد إما تعبير الشعراء الجاهليين عن نفوسهم بصفة مباشرة خالية من الحرج إنما لشعور بالراحة و الاطمئنان لدى الاقتراب من عملية الإبداع و الإحساس بالتحرر من الواقع الخارجي الذي يشكل أصل مشكلة التقيد. و إما بصورة مبطنة غير مباشرة تتم على استمرار الشعور بثقل الخارج و عدم التخلص من حجر رهبته.

المحاضرة الرابعة

أولا – الشعر الجاهلي و عقد الشاعر النفسية

فمن القضايا النفسية التي تبينها النقاد العرب المحدثون في الشعر الجاهلي العقد النفسية بأنواعها المختلفة، هذه التي منها ما يلازم الشاعر طوال حياته بفعل الفطرة الإنسانية، و منها ما يطرأ على نفسه و يتأصل فيها بفعل ظروف حيوية تستجد عليه و يظل تأثيرها محيطا به. و هي قد تشمل الغرائز، و قد تشمل المشاعر. و من المعلوم أن "فرويد" ذهب بصددها الى أن الفرد يشعر بالحرج من إبدائها حذرا من المجتمع الذي يكبلها. و احتسابا لإيجاده في الغرائز تحديدا القاسم المشترك بين الإنسان و الحيوان. لكن على الرغم من ذلك وجد أنه لابد للفرد من تفريغ شيء منها مهما ضاقت عليه السبل، نظرا لما قد يخلف بقاؤها في النفس من قلق عصبي أو ما يدعى بالكبت.

وقد وجد أن الإنتاج الفني أو الأدبي يشكل أحد هذه السبل لما تمنح المبدع من الحرية و الوسائل التعبيرية غير المباشرة، و ذلك ضمن ما يطلق عليه بالتسامي، و من هنا تم التفريق بين المبدع الذي يتمكن من أن يشهد مكونات لا شعوره في حالة اليقظة و الإنسان العادي الذي لا يتاح له مثل ذلك إلا في حالة النوم.

1– الشعر الجاهلي و تفريغ الغرائز

وفيما يتعلق بتفريغ الشاعر الجاهلي لبعض غرائزه، وجد "يوسف اليوسف" أنه حين اتخذت القصيدة الجاهلية من الوقفة الطللية مقدمة لها، كان ذلك تعبيرا عن حاجة ليبيدية مقموعة لدى الشاعر الجاهلي، و عند حاجته الى إروائها. و استثنى من ذلك "لامية الشنفرى" التي لم تعبر عن ذلك الدافع إلا من خلال البيتين الأخيرين اللذين انطويا على رغبة الشاعر في الانتماء الى الأراوي التي تشبه الغدارى في وقتها. كما تبين "ليوسف اليوسف" من خلال معلقة طرفة معاناة الشاعر من هذا القمع حين خلع على ناقته بعض المحمولات الوجدانية التي تشف عنها. و قد حددها أولا في شبهها بالنعامة و هي تتجه الى ذلك الظليم:

جماليةٍ	وجناءَ	تَردِي	كأنها	سَفَنَّجَةٌ	تَبْرِي	لأَزْعَرَ	أَرْبَدِ
↓	↓	↓		↓	↓	↓	↓
الناقة التي تشبه الجمل في وثاقة الخلق الخلق	المكتنزة اللحم	تعدو		النعامة	تعرض	القليل الشعر	الذي لونه لون الرماد

- المعنى: أمضي همي بناقة تشبه بناقة تشبه الجمل في وثاقة الخلق مكتنزة اللحم، تعدو كأنها نعامة تعرض لظليم قليل الشعر يضرب لونه الى لون الرماد، شبه عدوها بعدو النعامة في هذه الحال.

و بعد هذه المقدمة التي شفت عن التقاء الذكورة بالأنوثة، يتبين له القمع بصورة واضحة من خلال تمنع الأنثى على ذكرها

تَرِيعُ إلى صوت المُهيبِ و تتقي بذي خُصَلٍ رَوْعَاتِ أَكْلَفَ مُلْبَدِ

الريع=الرجوع دعاء الإبل أهاب الاتقاء ذنب الروع يضرب ملبد

بناقته إذا دعاها الحجز بين شيئين خصلة من الشعر الإفزاع الى السواد

كأن جناحيْ مُضْرَجِيّ تَكَنَّفا حِفَا فِيه شُكَّا في العَسِيبِ بِمَسْرَدِ

الأبيض من النسور التكنف: الكون في كنف الشيء و هو ناحيته الحفاف: الجانب الشك: الغرز عظم الذنب الإشفى أو المثقب

- المعنى: هي ذكية القلب ترجع الى راعيها و تجعل ذنبها حاجزا بينها و بين فحل نضرب حمرته الى السواد متلبد الوبر، يريد أن لا تمكنه من ضرابها، و إذا لم يصل الفحل إلى ضرابها لم تلقح، و إذا لم تلقح كانت مجتمعة القوى وافدة اللحم قوية على السير و العدو.
- المعنى: كأن جناحي نسر أبيض غرزا بإشفى في عظم ذنبها فصارا في ناحية. شبه شعر ذنبها بجناحي نسر أبيض في الباطن.

أما حين تحدث الشاعر عن خدها الذي يشبه القرطاس الشآمي، و عينيها اللتين تشبهان المرآتين. فقد بدا ليوسف اليوسف و كأنه يتحدث مباشرة عن امرأة.

المحاضرة الخامسة

قراءة في كتاب " مصطفى ناصف"

(قراءة ثانية لشعرنا القديم)

يعتبر الدكتور مصطفى ناصف من أهم نقاد العرب الذين اشتغلوا على التراث العربي القديم والحديث من زوايا منهجية مختلفة تتراوح بين الدراسة البلاغية والأسلوبية والتفكيكية والتأويلية والأسطورية. ولقد كان الشعر العربي القديم هدفا لكثير من دراساته ولاسيما كتابه القيم" قراءة ثانية لشعرنا القديم"، وهو عبارة عن فصول نقدية متنوعة انكب فيها على الشعر الجاهلي بالفحص والتحليل والتقويم من خلال رؤية جديدة وهي الرؤية الأنتروبولوجية أو المنهج الأسطوري. إذاً، ماهي القضايا النقدية التي يطرحها هذا الكتاب؟ وماهي خصائصه المنهجية والفنية؟ وماهي الملاحظات التقويمية التي يمكن أن نخرج بها بعد قراءتنا لهذا المتن النقدي؟

1- **بيوغرافية المؤلف:**

ولد مصطفى ناصف بمحافظة الغربية في جمهورية مصر العربية سنة 1922م، وحصل على دكتوراه الدولة في البلاغة من جامعة عين شمس عام 1952 م. وقد اهتم بالنقد النظري والتطبيقي منذ أمد طويل. واهتم كثيرا بالتراث العربي القديم ومناهجه البلاغية والنقدية مقارنا إياها بمستجدات الفكر الغربي المعاصر. وكان هدفه من مقارباته النقدية التأصيل والتأسيس لنقد عربي جديد وقراءة واعية للتراث الأدبي دون الانسياق وراء مفاهيم التجريب وما تراكم في الغرب من نظريات نصية وممارسات تطبيقية إجرائية .

وللدكتور مصطفى ناصف كتب عديدة منها: نظرية المعنى في النقد العربي، ودراسة الأدب العربي، والصورة الأدبية، ونظرية التأويل، والنقد العربي نحو نظرية ثانية،واللغة بين البلاغة والأسلوبية،وخصام مع النقاد، وطه حسين والتراث، وصوت الشاعر القديم، والوجه الغائب، واللغة والبلاغة والميلاد الجديد، واللغة والتفسير والتواصل.

2-طبيعة الكتاب:

يندرج كتاب" قراءة ثانية لشعرنا القديم" للدكتور مصطفى ناصف ضمن الدراسات النقدية الأدبية النصية التطبيقية التي تحاول قراءة الشعر الجاهلي من خلال التصور الأسطوري الأنتروبولوجي مستندا إلى اللاشعور الجمعي لدى كارل يونغ على غرار الدراسات الأدبية والنقدية الأخرى التي درست الشعر الجاهلي على ضوء المناهج الحديثة والمعاصرة(المنهج الاجتماعي، والأسطوري، والبنيوي، والتوثيقي، والفني ، والجمالي، و التاريخي،و النفسي، والفلسفي ، والتأويلي، والتفكيكي، والسيميائي،....) على غرار كتاب" في الشعر الجاهلي" لطه حسين "، و " قراءة جديدة لشعرنا القديم" لصلاح عبد الصبور، وكتاب"المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها" للدكتور عبد الله الطيب، و"المعلقة العربية الأولى أو عند جذور التاريخ" للدكتور محمد نجيب البهبيتي، و"العصر الجاهلي" للدكتور شوقي ضيف،و"الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث" للدكتور نصرت عبد الرحمن، و" مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية"

للدكتور ناصر الدين الأسد،و" نحو منهج بنيوي لتحليل للشعر الجاهلي (الرؤية الشبقية)" و" الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي " للدكتور كمال أبوديب، و"المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي" لعبد الفتاح محمد أحمد، و"عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي" للدكتور سعيد الأيوبي، و"المدخل إلى الأدب الجاهلي" للدكتور إحسان سركيس، و"الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي" ليوسف خليف، و"مقالات في الشعر الجاهلي" ليوسف اليوسف، و" الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية" لعبد الإله الصائغ، و" الرحلة في القصيدة الجاهلية" لوهب رومية، و" الشعر الجاهلي" لمحمد النويهي، و" مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي" للدكتور حسين عطوان، و" في النقد الجمالي ، رؤية في الشعر الجاهلي" للدكتور أحمد محمود خليل، و" الفضاء المتخيل في الشعر الجاهلي" لرشيد نظيف، و" الأصول الفنية للشعر" للدكتور سعد إسماعيل شلبي، و" خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة" لمحمد صادق حسن عبد الله، و" دراسات في الشعر الجاهلي" ليوسف خليف،و" الشعر الجاهلي" للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، و" الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه" للدكتور يحيى الجبوري،و" الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية" للدكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد...

ويستند كتاب مصطفى ناصف" قراءة ثانية لشعرنا القديم" إلى المنهج الأنتروبولوجي الأسطوري الذي يبحث عن الثوابت العقلية اللاشعورية للمجتمعات وخاصة غير المتحضرة ورصد الثوابت المشتركة من المشاعر والشعائر والطقوس والعادات والعقائد التي تتكرر ثقافيا واجتماعيا عند المبدعين والفنانين والتي تعبر عن الرغبات اللاواعية لكل فرد داخل المجتمع الإنساني. ويضم الكتاب مائة وسبع و ثمانين صفحة من الحجم الكبير ومقدمة وثمانية فصول. ومن المرجح أن تكون هذه الفصول مقالات نشرت في مواقع صحفية ومنابر ثقافية متفرقة، ثم جمعت في شكل كتاب تولت دار الأندلس ببيروت اللبنانية طبعه ونشره.

3- القضايا النقدية في الكتاب:

ينطلق الدكتور مصطفى ناصف في مقدمة كتابه " قراءة ثانية لشعرنا القديم" من فرضية أساسية وهي أن الأدب العربي قبل الإسلام لم يقرأ قراءة حسنة كما أثبت ذلك عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين مرارا وتكرارا ، وذلك لعدة موانع تحول دون قراءته قراءة واعية ممتازة . وتتمثل هذه الموانع في الحواجز العقلية والنفسية. وكتابنا هذا يهدف إلى إعادة النظر في الشعر العربي القديم الذي اتهم بأنه ناتج عن" عقل مادي قاس رتيب لايتجاوز المحسوس ولا يعلو على العلاقات الفردية، ولا يستطيع أن يحيط بالأشياء من حيث هي كل. همه محصور في أن يتعلق بجزء من الأجزاء ينكب عليه دون ملل. ثقافته محدودة، وتطلعه الفلسفي سطحي يسير " وينطلق مصطفى ناصف من فلسفة الشك على غرار طه حسين في كتابه " في الشعر الجاهلي" قصد الوصول إلى اليقين وذلك بالتشكيك في كل المسلمات والثوابت التي التصقت بالشعر العربي القديم قبل الإسلام. وهذا المنطلق المنهجي نجد مرتكزاته النظرية لدى الفيلسوف العربي المسلم الغزالي والفيلسوف الفرنسي ديكارت. كما أن القراءة تختلف من عصر إلى آخر ومن شخص إلى آخر ومن مكان إلى

آخر. لذلك فقراءة مصطفى ناصف ستكون قراءة جديدة همها الاستكشاف والاستنباط والاستقراء والانطلاق من مجموعة من الفرضيات قصد البرهنة عليها وعدم التسلم بالمعطيات الثابتة والأحكام الجاهزة عن الشعر الجاهلي.

أ - الفـصـل الأول: الإحســـاس بالتـــراث:

يرى الدكتور مصطفى ناصف أن الأدب العربي القديم – يقصد به الأدب الجاهلي– يتميز بصفائه ونقائه لكونه بقي بعيدا عن المؤثرات الفارسية واليونانية والهندية. ووصلنا هذا الأدب ناضجا ومكتملا وثابتا بأصوله الفنية التي صارت فيما بعد قواعد للكتابة الشعرية والإبداعية بعدما أن نزل القران الكريم بلغة هذا الأدب الرائع في شعريته وكتابته النثرية. وقد عمل القرآن على تهذيب لغة الشعر الجاهلي وتنقيتها وصقل بيانها وتطعيمها بألفاظ دينية وروحية. وقد حارب النقاد القدماء الشعراء المحدثين الذين يريدون أن يتمردوا عن بنية القصيدة الجاهلية التي صارت معيارا للاحتذاء والتقليد بعمودها الأصيل الذي يثبت مجموعة من القواعد الدلالية والفنية التي لا ينبغي الخروج عنها كما أسهب في شرحها المرزوقي في مقدمة ديوان الحماسة لأبي تمام. ويشكل هذا العمود الشعري الأساس الحقيقي لكل شعرية عربية على غرار القران الكريم والسنة النبوية اللذين يمثلان مصدرين أساسيين للتشريع والعمل .

ولقد واكب النقد الكلاسيكي تطور الشعر العربي من خلال مدارسة الشعر القديم والحديث من خلال ربط الماضي بالحاضر ومقارنة القيم القديمة والجديدة والبحث عن مواطن التقليد والتجديد. واعتبر الشعر الجاهلي مصدرا ومنبعا للشعر العربي قاطبة، ودرعا واقيا صامدا في وجه التيارات الثقافية والحضارية القادمة إلى ساحة الفكر العربي وإبداعه ضمن حركية المثاقفة و جدلية الاحتكاك الثقافي و الحوار الحضاري بين الشعوب.

وقد ناقش مصطفى ناصف ما ذهبت إليه مدرسة الديوان إبان عصر النهضة مع عباس محمود العقاد وعبد الرحمن شكري وعبد القادر المازني التي كانت تنطلق في فلسفتها من التوجه الرومانتيكي الغربي معتمدة على الحرية وتقديس الذات الفردية والتغني بالبطولة الفردية و الحرية القومية. وكانت لا تعد بشعر لا يعكس ذات صاحبه ووجدانيته الداخلية ومشاعره الباطنية . أي إن الشعر عند مدرسة الديوان هو شعر الشخصية والوجدان والشعور الداخلي والإحساس بالجمال النابع من الروح. وبما أن شعر شوقي كان شعرا غيريا ولا يعكس روحه الشخصية وحياته الفردية، فقد هاجمه العقاد هجوما عنيفا ونفى عنه إمارته الشعرية من خلال نقد ه لقصيدة "الربيع" التي اعتبرها العقاد قصيدة سطحية لاروح فيها ولا معنى. وهذا الصراع في الحقيقة ما هو إلا صراع مذهبي وفني ، صراع بين مدرستين أدبيتين : المدرسة الكلاسيكية التي كانت تهتم كثيرا بالغير والآخر، والمدرسة الرومانسية التي كانت تؤمن بالفرد والقلب والعاطفة والطبيعة والحرية الإنسانية.

وعليه، فإن مدرسة الديوان تقصي الماضي الشعري و الإبداع التراثي، لأن الأدب القديم صار عاجزا وقاصرا عن العطاء والتجديد بالمقارنة مع الحاضر الذي يتطلع إلى الإبداع والحداثة الشعرية اعتمادا على مقاييس الشخصية والذات والروح الفردية. وعندما عاد زعماء الديوان إلى التراث الشعري القديم لنقده وغربلته، فإن همهم الوحيد هو البحث عن القمم الفردية التي تغنت بشعر الشخصية والحرية الذاتية و خاصية التحول كما فعل أبو نواس الذي ثار على بنية القصيدة

الجاهلية التقليدية وابن الرومي الذي عبر كثيرا عن ذاته الشخصية المتأزمة. وأبعد هؤلاء النقاد كل شعر يلتزم بالقبيلة والتغني بالروح الجماعية واعتبروه شعرا رديئا غير مطبوع فيه صنعة وتكلف. ويعني هذا أن كل شعر غير ذاتي يقصى ويعد مصنوعا لاقيمة له ولا جدوى منه مادام لايعكس شخصية الشاعر وفرديته الوجودية وكينونته الداخلية. وهذا المقياس يخالف ما كان يعتمد عليه النقاد القدامى الذين كانوا يحتكمون إلى المقاييس الفنية والجمالية وليس إلى مقاييس الذات والجماعة، لذالك عد أبو نواس شاعرا عاديا ضمن المنظور الفني على الرغم من محاولته للخروج عن عمود الشعر العربي الذي بقي وفيا وأسيرا لمعاييره وأصوله الفنية الثابتة. ويعني هذا أن النقاد القدامى اهتموا بالشعر بدلا من الشاعر كما تؤمن بذلك مدرسة الديوان التي تسعى جاهدة للبحث عن ما هو شخصي وفردي في التراث الشعري القديم. بيد أن هذه المدرسة لم تجد ماكانت تبحث عنه من تجارب شعرية فردية بالمفهوم الرومانسي الغربي؛ لذلك تجاوزت الماضي نحو الحاضر وأدارت الظهر له. ويقول مصطفى ناصف في هذا الصدد:" إن الأستاذ العقاد لم يستطع– وسط همومه الثقافية المتزايدة– أن يشعر بأن الأدب العربي فيه كثير من أهوائه التي تتركز في عبادة الإنسان وعبادة حياته، فعبادة الإنسان عبارة موجزة تنفع في الإيماء إلى تفصيلات كثيرة إذا حللت. والأستاذ العقاد مشغول بهذه النزعة، وكل أقواله في دنيا الأدب والنقد إنما أراد بها أن يحيي فكرة الإنسان الباحث عن التجربة، المتلذذ بالوعي، الشاعر بالانتصار، الذي ينسخ كل ماعداه، الذي يأخذ من كل شيء آخر ما سلبه بلاحق. الإنسان الذي يسترد مملكته من أيدي الغيب. ومن ثم كان على التراث – في نظره– أن يستجيب لما أراد. وقد لقف قليل من الباحثين هذا التيار وبحثوا عن أصدائه في مجالات أخرى غير الشعر العربي، ووقر في أنفس الناس رأي العقاد حين يجعل القيمة صنوا لهذا النوع من التفكير، مما عداه في عالم الشعر العربي، وكل شعر آخر، كثير. فيلقى هذا الشعر في النار وقد كتبت عليه عبارة الشعر المصنوع."

ملاحظة:

يكتفي الأستاذ بتلخيص مضمون الفصل الأول من الكتاب ، ويكلف الطلبة بتحميل الكتاب ، وقراءة مضمون الفصول المتبقية، وتلخيصها ، ثم عرضها بصورة سريعة في بداية المحاضرة التالية.